رسالة الكندى

فى حدود الأشياء ورسومها

هذه الرسالة تشتمل على تعريفات كثيرة لأمور أو مفهومات متنوعة مأخوذة من ميادين علوم شتى ؛ وهى تُذكر دون مبدأ فى ترتيبها ودون مراعاة قاعدة معينة فى التصنيف . وقد يكون فيها تكرار أو غموض ، مرجعه إلى عدم الدقة من جانب الناسخ أحياناً .

ولم يرد ذكرُ هذه الرسالة باسمها هذا عند أحد ممن ترجم للكندى وأحصى مصنفاته ؛ ولكن الاختلاف المشاهد فى رواية أسماء الرسائل وذكر بعضها دون بعض فيما لدينا من إحصاءات لها ، عند مختلف المؤرخين ، قد يبرر افتراض أن اسمها سقط — كغيرها — من الثبت الأول الذى اعتمد عليه المؤرخون ، أو أنها لم تكن فى متناول أحد منهم ، أو أنها — أخيراً — مذكورة بعنوان اخر ، لعلّه الذى نجده عند ابن أبى أصيبعة (ج ١ ص ٢١٠) ، وهو : « مسائل كثيرة فى المنطق وغيره وحدود الفلسفة » .

وإذا عرفنا أن الكندى — كما يؤخذ مما بين أيدينا من رسائله — كان يكتب أحياناً لبعض من يسأله من تلاميذه ، فلا يبعد أن يكون أحدهم قد جمع رسائله ، كما لا يبعد أن يقع بعضُ الاختلاف بين التلاميذ أو بين المؤرخين فى أسمائها — وهذا هو الواقع فى إحصاءاتها .

هذا إلى أن الرسالة بخط يخالف خط بقية الرسائل ؛ فأغلبُ الظن أنها أُضيفت استيفاءً للمجموعة . وليس لها ديباجة ولا خاتمة — على ما نعهده فى رسائل الكندى التى بين أيدينا فى هذا المخطوط ، بل فى غيرها مما لم يحوِه المخطوط . وهذا — وإن كان اعتباراً قليل القيمة ، لأنه لا يتحتم أن يكون لكل رسالة ديباجة — فهو قد يثير الشك حول نسبة الرسالة للكندى . غير أنه لا ريب فى أن ما فيها له ؛ بدليل التطابق بين ما نجده فيها من تعريفات وبين التعريفات

العلم — وجدانُ الأشياء بحقائقها .

الصدق — القولُ الموجِب ماهو والسالب ماليس هو ؛ وهو أيضا إمّا إثبات شيء ليس هو ، و إمّا نفى شيء عن شيء هو له[١] .

الكذب — القولُ الموجبُ ماليس هو والسالبُ ما هو .

الجذر[٢] — هو الذى إذا ضوعف مقدارُ ما فيه من الآحاد عاد المالُ الذى هو جذره .

الغريزة — طبيعة حالّة فى القلب ، أُعِدّت فيه لينال به[٣] الحياة .

الوهم — وقوف شيء للنفس بين الإيجاب والسلب ، لا يميل إلى واحد منهما .

القوة — ما ليس بظاهر ، وقد يمكن أن يظهر عما هو فيه بالقوة .

الأزلى — الذى لم يكن ليس ، وليس بمحتاج فى قوامه إلى غيره ؛ والذى لايحتاج فى قوامه إلى غيره فلا علة له ، وما لا علة له فدائم أبداً[٤] .

العلل الطبيعية أربع[٥] — ما منه كان الشيء ، أعنى عنصره ؛ وصورة الشيء التى بها هو ما هو ؛ ومبتدأ حركة الشيء التى هى علّته ؛ وما من أجله فعلَ الفاعلُ مفعولَه .

الفلك — عنصر وذو صورة ، فليس بأزلى[٦] .

المُحال[٧] — جمعُ المتناقضين فى شيء مافى زمان واحد وجزء و إضافة واحدة .

---

(١) يخيل إلى أن هنا تناقضا ، ولكنى لم أعدل شيئا من النص ، لأنه يمكن أن يفهم بتأويل بعيد .

(٢) يعرف الخوارزمى (ص ١١٥) الجذر بأنه : كل ماتضربه فى نفسه ؛ والمال بأنه : كل مايجتمع من ضرب عدد فى نفسه

(٣) هكذا فى الأصل ، وقد أبقيتها كما هى

(٤) راجع كتاب الفلسفة الأولى ص ١١٣ مما تقدم . والجرجانى متأثر فى تعريفه للأزلى بتعريف الكندى وإن كان يفصل أكثر منه

(٥) فى الأصل : أربعة . وهذه العلل هى : المادية ، والصورية ، والفاعلة ، والغائية — بحسب الاصطلاح الفلسفى بعد الكندى

(٦) هذه فكرة أساسية عند الكندى القائل بحدوث العالم كله وتناهيه فى الزمان والمكان — راجع مقدمتنا

(٧) قارن الجرجانى ص ١٣٨ ؛ والتطابق عند الخوارزمى أدق ، ص ٨٤ .

وكل واحدة من هذه الثلاث سورٌ للفضائل[١] .

الفضائل — لها طرفان : أحدهما[٢] من جهة الإفراط ، والآخر من جهة التقصير ؛ وكل واحد منهما خروج عن الاعتدال ، لأن حد الخروج عن الاعتدال مقابلٌ للاعتدال بأشدّ أنواع المقابلة تَبَايُناً — أعنى الإيجاب والسلْب ، فإن الخروج عن الاعتـدال رذيلة ، وهو ينقسم قسمين متضادين : أحدهما الإفراط والآخر التقصير .

[أما][٣] الخلق الخامس[٤] فى النطقية [المغاير] للاعتدال فهى الجربزةُ والحيل والمواربة والمخادعة وما كان كذلك .

فأما الاعتدال من جهة الفلسفة — أعنى اعتدال الطينة[٥] :

للنجدة خروج[٦] القوة الغلبية عن الاعتدال ، وهى رذيلة الاعتدال ، وهو ينقسم قسمين متضادين : أحدهما من جهة السرف وهو التهوّر والهوج[٧] ؛ وأما الآخر فهو من جهة التقصير ، وهو الجبن .

وأما غير الاعتـدال فى العفة فهى رذيلة أيضاً مضادة للعفة ؛ وهى تنقسم قسمين : أحدهما من جهة الإفراط ، وهو ينقسم ثلاثة أقسام ، ويعمها الحرص : أحدها الحرص على المآكل والمشارب ، وهو الشره والنهم وما سمى كذلك ؛ ومنها الحرص على النـكاح من حيث سنح ؛ وهو الشبق المنتجُ العهرَ ؛ ومنها الحرص

(١) فى الأصل : الفضائل — وقد آثرت تصحيحها على معنى أن كل فضيلة مما تقدم تشمل تحتها فضائل أخرى ، وهذا مشهور عند فلاسفة الإسلام الأخلاقيين

(٢) فى الأصل : أحدها

(٣) هذه الـكلمة والتى بعدها زياده مقترحة لفهم المعنى

(٤) قراءة اجتهادية — ولعله يقصد أن هذا هو الخلق الخامس للنفس الناطقة ، وهو رذيلتها — أعنى استعمال القوة الفكرية فيما لا ينبغى وكما لا ينبغى وهو ما يسمى الجربزة ؛ (راجع مثلا كتاب تهذيب الأخلاق لابن مسكويه ط . القاهرة ١٢٩٨ ص ١٦ ، وكتاب تهذيب الأخـلاق لأبى زكريا يحيى بن عدى ص ١٦ وما بعدها) — والجربزة هى الخداع والخبث ، كما فى محيط المحيط ؛ وهو لفظ فارسى معرّب

(٥) هكذا فى الأصل ، ويجوز أنه لا يقصد الطينة بمعناها الحرفى بل بمعنى الاستعداد

(٦) فى الأصل : النجدة وخروج ، والمعنى واضح ، رغم عدم الإحكام فى العبارة ، وهو أن لـكل فضيلة طرفين ، هما رذيلتان

(٧) الأهوج هو الأحمق وهو أيضاً الشجاع الذى يرمى بنفسه فى الحرب

العشق — إفراط المحبة .

الشهوة — هى مطلوب القوة المُحْيِيَة وعلة تكاملها السببية[١]، هى مشتقة من الشهوة ، وهى إرادةُ نحو المحسوسات ؛ ويقال : إن الشهوة هى الشوق ، على طريق الانفعال ، إلى استزادة ما نقص من البدن و إلى تنقّص[٢] ما زاد فيه — نريد بالانفعال أنه شىء يجرى على خلاف ما يجرى به الأمر الذى بالفكر والتميز .

المعرفة — رأى غير زائل .

الاتصال — هو اتحاد النهايات .

الانفصال — تباين المتصل .

الملازقة — إمساك نهايات الجسمين جسما بينهما .

الغضب[٣] — غليان دم القلب لإرادة الغيظ .

الحقد — غضب يبقى فى النفس على وجه الدهر[٤]

الذحل[٥] — هو حقد يقع معه ترصّدُ فرصة الانتقام ؛ واسم الذحل فى اللغة اليونانية مشتق من الكمون والرصد[٦]

الضحك — اعتدالُ دم القلب فى الصفاء ، وانبساط النفس ، حتى يظهر سرورها ؛ وأصله بالفعل الطبيعى

---

(١) قراءة اجتهادية — ويمكن أن تُفهم الكلمة على أكثر من وجه . وكنت قد اقترحت قراءتها فى نشرة سابقة : الشهية أو الشهوية ، ولكنى عدلت عن ذلك ، وإن كان له وجْه

(٢) هكذا فى الأصل ، لكن بدون شكل ولا نقط كافٍ ، وتحت الصاد نقطة

(٣) الجرجانى ص ١٠٨ : الغضب تغير يحصل عند غليان دم القلب

(٤) ولعل الذى يقابل الحقد فى اليونانية هو كلمة μνησικακία ومعناها حمل الإنسان للغضب فى نفسه وتذكره له

(٥) الذحل بسكون الذال هو الثأر أو العداوة والحقد

(٦) لم يكن من السهل علىّ تحديد الكلمة اليونانية المقابلة للذحل ، نظرا لكثرة الكلمات التى تدل على البغض ، فأرشدنى الزميل الفاضل الاستاذ أمين سلامة أمين حجرة النقود بمكتبة جامعة فؤاد إلى كلمة : λοχή (= الحفيظة) المشتقة من فعل يونانى : λοχᾶν — ومعناه الترصّد ، فللزميل الشكر الجزيل